

التجربة الشبابية في فلسطين

إعداد: خليل شاهين*

شباب فلسطينيون يكتبون
تجربتهم الجديدة

تقديم

يتضمن هذا الملف ست قراءات تلخص رؤية مجموعة من الناشطين الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى عناصر القوة والضعف في مسيرة الحراك الشبابي الذي انطلق في ١٥ آذار / مارس ٢٠١١، تحفزه إرادة شعبية أطاحت آنذاك برأسي نظامي الحكم في تونس ومصر، قبل أن تحصد المزيد لاحقاً.

ومع أنها مجرد بداية لا تغطي حركات شبابية في مختلف أماكن الوجود الفلسطيني العربية، إلا إنها تعكس ملامح من الأجواء الشبابية الجديدة في الداخل والشتات العربي. وإدراكاً منا بتعدد روافد المعرفة، وخصوصاً ما تنتجه الحركات الاجتماعية والسياسية من معرفة جديدة خلال الثورات العربية الراهنة، فقد ارتأت المجلة سؤال شباب فلسطينيين ناشطين أن يكتبوا بأنفسهم رؤيتهم

وتقومهم للحراك الشبابي الفلسطيني والدروس المستفادة منه، ومن دون تدخل من جانبنا إلا في جوانب تحريرية هامشية، كي تعكس هذه المعرفة نفسها بنفسها، ولنترك لكل من القارئ والباحث والشباب عامة، الاستفادة منها أو تقويمها أو نقدها كما عبّرت عن نفسها. ومن ميزات هذه المعرفة المعبر عنها من طرف ناشطين في حراك شبابي أنها معرفة تأتي من داخلها، فهي ليست موضوعاً خارجياً لدراسة باحث مثلاً، على أهمية الأخيرة طبعاً. وهي معرفة متعددة المصادر، لأن في إمكانها أن تمزج بين التأمل والتحليل والتجربة الذاتية ومراقبة الأحداث والعلم والأدب، وبعضها ميسر إلى طرح الأسئلة، بينما بعضها الآخر يظهر أكثر يقينية، كما أن بعضها عبّر بتلقائية، في حين سعى بعضها الآخر لأن يكون أكثر توثيقاً أو يستقي مصادر علمية أو أدبية، وهي تعبّر عن نقاشات

الشبابية الثورية فيه لما فيها من أهمية على تعديل موازين القوى مع إسرائيل المدعومة أميركياً، وهو ما أشارت إليه كتابات في هذا الملف. وربما كان تحركاً ذكرى النكبة والنكسة في السنة الماضية بداية اختبار لمثل هذه الأسئلة الجديدة الصعبة. وكنا قد رأينا تباشير نشاط الحركات الشبابية العربية في مصر ما بعد ثورتها واحتجاجاتها أمام السفارة المصرية، وفي شعارات بحرينية، وفي نداءات سورية إلى الشعب الفلسطيني تلقى صداها في تحركات شباب فلسطينيين. وأمام هذه الدينامية الجديدة، تجد المجلة أن من المفيد فتح نقاش بشأن هذه الاهتمامات الشبابية، والتركيز بداية على فهم الشباب لواقعهم الفلسطيني. فهذا النشاط الشبابي الجديد يزاوج بين النشاط في قضايا فلسطينية، مثل إنهاء الانقسام، وبين مقاومة الاحتلال، ويأتي على سياق ثورات عربية ضد أنظمة مستبدة.

وعدا ما تحمله هذه الكتابات من معرفة ذات طابع شبابي تغييرى، فإنها بشرى، لأن دون أوان زفها عمل مثابر لإعادة بناء الحراك الشبابي الفلسطيني داخل الوطن، وفي الشتات، إذ تضع الكتابات الشابة هنا هذه المهمة على عاتقها وفق رؤية مشتركة إلى الأهداف والشعارات الجمعية، وآليات العمل والتواصل بين مجموعات شبابية تنشد الانتقال من العالم الافتراضي إلى حيز الواقع، كي تصنع تغييراً يسعى لإعادة الاعتبار إلى دور ومكانة حركة التحرر الوطني الفلسطينية في مواجهة الاحتلال والعنصرية، ومن أجل ضمان حق الشعب الفلسطيني أينما يوجد في تقرير المصير.

ويظهر أن هذه القراءات الشبابية تتخذ من خطاب الحقوق منطلقاً للرواية التاريخية الجمعية، وهي تعتمد المراجعة للتجربة الفلسطينية، والنقد الذاتي للتجربة الشبابية

طويلة بين الناشطين أنفسهم أو مع مجتمعهم. وما يجمعها أنها كتابات تحاول التعلم من تجربتها، فضلاً عن أنها ملأى بالحماسة والسعي للتغيير وتأمل العوائق. فالأهم هو أنها معرفة وثيقة الصلة بهدف التغيير. وهي بروحيتها هذه، ومحاولتها التفكير من خارج الصندوق، ومحاولة التحرر من أنماط التفكير السياسي التقليدي، ووسائل وآليات فعله في الممارسة السياسية اليومية، تعيد الاعتبار إلى الدور الكفاحي الشاب دوماً للشعب الفلسطيني، فتستحضر زخم الثورة الأولى، وقوة التغيير في الإرادة الشعبية التي أطلقتها، وكانت وقودها ونارها، طوال ثلاثة عقود حتى بدء مسيرة أوسلو، كي تبشر اليوم بميادين تحرير قادمة في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس.

إن الحراك الشبابي الفلسطيني يقف دائماً أمام أسئلة صعبة وتعدّد الأولويات، وبالتالي، الشعارات، وهذا الحراك الشبابي على إيقاع الثورات العربية ليس هو الأول من نوعه في العقد الأخير، إذ سبقه نشاط شبابي في مقاومة جدار الفصل العنصري، والمساهمة في إطلاق حملة المقاطعة الدولية ضد إسرائيل في سنة ٢٠٠٥، والأنشطة المتنوعة خلال الانتفاضة الثانية ضد الحواجز الإسرائيلية والاحتلال وغيرها كثير. وكان من الواضح أن هذه الفئات الجديدة من الشباب الفلسطيني بدأت، خلال الألفية الجديدة أيضاً، بمدّ جسور إلى العالم، في اتجاه المجتمعات الغربية تحديداً، وكنوع من الإدراك أن القضية الفلسطينية ذات بعد دولي.

إلا إن هذا الحراك الشبابي الذي يأتي على إيقاع الثورات العربية هذه المرة، مترافقاً مع انسداد الأفق السياسي الفلسطيني واستمرار الانقسام، سيقف أمام أسئلة جديدة، ومفتوحة، بشأن العلاقة بين قدراته الذاتية ومدّ الجسور مع العالم العربي والحركات

والنشاطات التطبيعية، وكذلك الفاعليات المناصرة لقضية الأسرى، وذلك من أجل إعادة بناء التمثيل الوطني، وتعزيز وحدة الفلسطينيين وتواصلهم في الوطن والشتات. إنها أصوات شابة جديرة بالاستماع إليها اليوم.

وختاماً، فهذا الملف هو دعوة مفتوحة إلى النقاش، وقراءة التجربة، والاستفادة من دروسها، كمقدمة ضرورية كي يأتي الربيع الفلسطيني تتويجاً للربيع العربي، عبر التأكيد أن النضال من أجل الحرية الذي أشعل شوارع تونس ومصر وليبيا وسورية والبحرين... يصنع أفقاً عربياً جديداً لن يكتمل إلا إذا أعاد فلسطين إلى موقعها بصفتها بوصلة الحرية في العالم العربي. ■

في حراكها، فتشخص عناصر الضعف قبل القوة، وتتحدى ثقافة الخوف في مقاومتها لمحاولات الترغيب والترهيب والاحتواء، وتتمسك ببناء مقومات شق مسار جديد يتمسك بالإرادة الشعبية أساساً لإعادة بناء التمثيل السياسي الوطني في إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك عبر مبدأ الانتخاب لممثلي الشعب في المجلس الوطني حيثما يمكن ذلك. وفي هذا الملف، توفر "مجلة الدراسات الفلسطينية" منبراً لأصوات شابة انخرطت في فاعليات الحراك الشبابي الذي انطلق في آذار / مارس ٢٠١١، ولا تزال تتصدر اليوم الفاعليات الاحتجاجية ضد الانقسام الداخلي، والعودة إلى المفاوضات في ظل الاحتلال، الفادح في ميزان القوى لمصلحة الاحتلال،

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

أوراق عائلية

دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين
(طبعة ثانية منقحة)

مراجعة

صالح عبد الجواد

٢٦٦ صفحة ١٥ دولاراً